@AnteliasDiocese
anteliasdiocese.com

## عنوان الأحد عيد إرتفاع الصليب المقدّس

الأخت دولّي شعيا (ر.ل.م.)

(١ قور ١: ١٨-٢٥)

١٨ إِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الـهَالِكِينَ حَمَاقة، أَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الـمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ؛
١٩ لأَنَّهُ مَكْتُوب: "سَأُبِيدُ حِكْمَةَ الـحُكَمَاء، وأَرْذُلُ فَهْمَ الفُهَمَاء!".
٢٠ فَأَيْنَ الـحَكِيم؟ وأَيْنَ عَالِمُ الشَّرِيعَة؟ وأَيْنَ البَاحِثُ في أُمُورِ هـذَا الدَّهْر؟ أَمَا جَعَلَ اللهُ حِكْمَةَ هـذَا العَالَمِ حَمَاقة؟
٢١ فَبِمَا أَنَّ العَالَمَ بِحِكْمَتِهِ مَا عَرَفَ اللهَ بِحَسَبِ حِكْمَةِ الله، رَضِيَ اللهُ أَنْ يُخَلِّصَ بِحَمَاقةِ البِشَارَةِ الَّذِينَ يُؤْمِنُون؛
٢٢ لأَنَّ اليَهُودَ يَطْلُبُونَ الآيَات، واليُونَانِيِّينَ يَلْتَمِسُونَ الـحِكْمَة.
٢٣ أَمَّا نَحْنُ فَنُنَادِي بِمَسِيحٍ مَصْلُوب، هُوَ عِثَارٌ لِلْيَهُودِ وحَمَاقةٌ لِلأُمَم.
٢٤ وأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ أَنْفُسِهِم، مِنَ اليَهُودِ واليُونَانِيِّين، فَهُوَ مَسِيحٌ، قُوَّةُ اللهِ وَحِكْمَةُ اللهِ؛
٢٥ فَمَا يَبْدُو أَنَّهُ حَمَاقةٌ مِنَ اللهِ هُوَ أَحْكَمُ مِنَ النَّاس، ومَا يَبْدُو أَنَّهُ ضُعْفٌ مِنَ اللهِ هُوَ أَقْوَى مِنَ النَّاس.

### مقدّمة

كان المناخ الدينيّ في قورنتس، وغيرها من المدن اليونانيَّة، ملائمًا للإعجاب بالخطب البارعة والتكهُّنات المحنَّكة، ولا شيء في كلمات بولس يشير إلى نوعٍ معيّن من الكلام البارع. فكان روح الانقسام، الَّذي في الكنيسة، نتيجةً للتفضيلات والولاءات، الَّتي كانت تدعم هيبة بعض المسيحيّين، الَّذين أخذوا على عاتقهم، الهيمنة على الآخرين بحسب معايير العالم المبنيَّة على القوَّة والنفوذ.

لذلك، شرع بولس يُقنع أهل قورنتس بأنَّ القوَّة والحكمة، كما يُعرّفهُما العالم، لا دور لهما في حياة الَّذين يعترفون بأنَّ يسوع هو المسيح، الَّذي صُلِبَ لأجلهم. فصليب العار والذلّ، الَّذي وُضِع على أكتاف يسوع، صار رمز فخرٍ وعزٍّ، لا بل أصبح علامةً للحبّ اللَّامشروط، الحبّ "الَّذي يبذل نفسه في سبيل أحبَّائه" (يو ١٥: ١٣). منذئذٍ، صار التحوُّل الكبير. فما عادت نظرة المؤمن، نظرة ألمٍ، وخوفٍ، ويأس، بل أصبحت نظرةً فصحيَّة، أي نظرة الحبّ الَّذي يتغلَّب على الموت؛ نظرة الرجاء والقيامة الَّتي تتغذَّى دائمًا بحبّ يسوع اللَّامحدود.

## شرح الآيات

**١٨ إِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الـهَالِكِينَ حَمَاقَة، أَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الـمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ؛**

أجرى بولس مقارنةً بين مجموعَتَين من الناس، وهما "الهالكين" و"المخلَّصين". وقد استخدم في اللغة اليونانيَّة صيغة المضارع، ليلفت الانتباه إلى عمليَّةٍ مستمرَّة. هذه المقارنة، الَّتي أجراها بولس، لم تكن بين الَّذين خُلّصوا والَّذين ضلُّوا، بل بين الَّذين كانوا قيد عمليَّة الضلال من جهة، والَّذين كانوا قيد عمليَّة الخلاص من جهةٍ أخرى. بالنسبة إلى بولس، لم تكن الحياة في المسيح توصف بمرَّة واحدة يعتنق فيها الانسان الإيمان وانتهى الأمر. بل كانت عبارة عن حياةٍ تُكتشف وتُعاش في المجتمع.

كانت العلامة الَّتي على "الهالكين"، هي وجهة نظرهم بأنَّ صلب المخلّص على الصَّليب كان "حماقة". فرسالة الصَّليب بالنسبة إلى العين البشريَّة "حماقة"، وحجر عثرة؛ بينما الحماقة الفعليَّة هي في ما يعتبره العالم حكمة. أمَّا علامة "المخلَّصين"، فهي الإيمان بأنَّ مشهد الصليب يوضح "قوَّة اللّٰه". انقلبت مفاهيم قوَّة العالم وحكمته، عندما افتدى اللّٰه البشريَّة بصلب يسوع. بناءً على هذا الأساس، أظهرَ سلوك الانقسام، المبني على ولاءات الانسان والتنافس، إخفاق أهل قورنتس في فهم الصليب.

**١٩ لأَنَّهُ مَكْتُوب: "سَأُبِيدُ حِكْمَةَ الـحُكَمَاءِ، وَأَرْذُلُ فَهْمَ الفُهَمَاءِ!".**

قدَّم الصليب للعالم حداثةً جذريَّة، متحدّيًا كلَّ مستوىً للقوَّة والسيادة البشريَّة. كان باستطاعة الـمُدرِك الأسفار المقدَّسة عند اليهود أن يعترف بالصَّليب على أنَّه مواصلةٌ للموضوع الرئيسيّ الَّذي لم ينحرف عن إعلان اللّٰه لمخطَّطه الخلاصيّ. فقصَّة شعبٍ عريقٍ عاش سهل شنعار جُسّد الَّذين يهلكون. لقد بنى النَّاس إلى الأبد أبراجهم، ونزل اللّٰه إلى الأبد لبلبلة ألسنتهم (راجع تك ١١: ١-٩). من حنَّة أمّ صموئيل (راجع ١ صم ٢: ١-١٠) إلى مريم (راجع لو ١: ٤٦-٥٥)، كان اللّٰه يرفع المسكين من الرماد. لذلك، لم يقُل شيئًا جديدًا عندما قال إنَّه "سيُبيد حكمة الحكماء، ويرذل فهم الفهماء" (أش ٢٩: ١٤).

**٢٠ فَأَيْنَ الـحَكِيم؟ وَأَيْنَ عَالِمُ الشَّرِيعَة؟ وَأَيْنَ البَاحِثُ فِي أُمُورِ هـذَا الدَّهْر؟ أَمَا جَعَلَ اللّٰهُ حِكْمَةَ هـذَا العَالَمِ حَمَاقَة؟**

تدلُّ الأسئلة، الَّتي يطرحها بولس في هذه الآية، على أنَّ المؤمنين في قورنتس لم يكونوا من ضمن الَّذين كان مشهودًا لهم من قِبل هذا العالم. فالسؤال القائل: "أين الحكيم؟"، هو طريقة محترمة لتذكيرهم بأنَّ الحكمة الدنيويَّة لم تكن مصدر خلاصهم. لم يرفض بولس الرسول الحكمة بالمفهوم الـمُطلَق، لكنَّه أكَّد على أنَّ حكمة اللّٰه مختلفة تمامًا عن حكمة هذا العالم. هذا ما سبق وأوضحه الرَّبُّ يسوع بقوله: "أحمدُكَ أيُّها الآب، ربُّ

السماء والأرض، لأنَّك أخفيتَ هذه عن الحكماء والفهماء وأظهرتها للأطفال" (لو ١٠: ٢١). الحوار ببراعةٍ، سواء أكان شفهيًّا أم كتابيًّا، هو خلاصة الحكمة والتعلّم عند الإغريق والرومان. أراد بولس للجماعة المحليَّة في قرونتس، أن تنظر حولها وتسأل: "أين عالِم الشريعة؟ وأين الباحث في أمور هذا الدهر؟". لم يكن للأذكياء في العالم وقتٌ للمسيح.لذا وجّه بولس سؤاله إلى أهل قورنتس قائلًا: "أما جعلَ اللّٰه حكمة هذا العالم حماقة؟". فعندما أعطاهم اللّٰه بركاته، كان "يُجَهّلُ" بذلك "حكمة هذا العالم".

## ٢١ فَبِمَا أَنَّ العَالَمَ بِحِكْمَتِهِ مَا عَرَفَ اللّٰهَ بِحَسَبِ حِكْمَةِ اللّٰه، رَضِيَ اللّٰهُ أَنْ يُخَلِّصَ بِحَمَاقَةِ البِشَارَةِ الَّذِينَ يُؤْمِنُون؛

أجرى بولس مقابلةً حادّة، قدر المستطاع، بين "حكمة العالم" الَّتي من جهة السفسطائيّين والفلاسفة المتعلّمين، وبين "حماقة البشارة"، الَّتي كان المسيحيّون قد سمعوا بولس يُنادي بها. وكان قد رأى أنَّ "العالم" (kosmos)، إذا تُرِكَ ورغبته، لا يحصل إلَّا على بصيصٍ من اللّٰه في الظواهر الطبيعيَّة (راجع روم ١: ٢٠)، لأنَّه لم يستطع أن يسمو أكثر ممَّا يسمح به كبرياء الانسان ومحبَّته للمتعة. فبينما يزعم الانسان أنَّه حكيمٌ تراه صار جاهلًا (راجع روم ١: ٢٢).

كان إخفاق البشر الخاطئ في أن "يعرف اللّٰه"، دليلًا على "حكمة اللّٰه". ومع ذلك، لم يرفض اللّٰه هذا الإخفاق، بل "رضي أن يخلّص بحماقة البشارة الَّذين يؤمنون". فبموت المسيح، فتح اللّٰه أمام الانسان باب المصالحة. إلَّا أنَّ العالم لم يجد أيَّ حكمةٍ في إلهٍ مصلوب، لأنَّ معرفة اللّٰه الحقيقيَّة هي نتيجةٌ لكشف اللّٰه عن ذاته.

## ٢٢ لأَنَّ اليَهُودَ يَطْلُبُونَ الآيَات، واليُونَانِيِّينَ يَلْتَمِسُونَ الحِكْمَة.

قسم بولس استجابة الانسانيَّة إلى جهالة الكرازة عن مخلّصٍ مصلوب إلى فئتَين: اليهود واليونانيّين. لم يستجب اليهوديّ أو اليونانيّ بالطريقة نفسها؛ ولكن عندما تعتمد أيٌّ هاتَين الجماعتَين على تقاليدها العرقيَّة وعبقريَّتها، فإنَّها بذلك ستتجنَّب حكمة اللّٰه.

كان اليهود "يطلبون الآيات" من السماء، والَّتي قد تُثبت حقيقة ما كانوا يسمعون. لم تكن الآيات مقتصرةً على ما فعله الرَّبّ يسوع. فبولس كتب أيضًا، في وقتٍ لاحق، إلى أهل قورنتس قائلًا: "إنَّ علامات الرسول صُنِعَت بينكم في كلّ صبرٍ، بآياتٍ وعجائب وقوَّات" (٢ قور ١٢: ١٢). كان اليهود، في كثيرٍ من الأحيان، يستجيبون لـ"حماقة البشارة" (١ قور ١: ٢١)، مُطالبين بآية، ولكن لم تكن هناك علامةٌ تُرضيهم.

تميل استجابة "اليونانيّين" للبشارة بمخلّصٍ مصلوب إلى أن تكون معرفة عقليَّة، لأنَّهم سعوا وراء "الحكمة". كان التنظير الفلسفيّ بين المفكّرين اليونانيّين، خلال العصر المسيحيّ

المبكر بعيد المدى. فكان المبشّرون المتجوّلون يتراوحون من الجاهِل إلى المحنّك، حتّى أصبح العمّال البسطاء والدبّاغون يناقشون مزايا آخر فيلسوف اجتاح المدينة. لذا، كان بولس أحدثَ عرضٍ في الساحة، بالنسبة إلى غالبيّة اليونانيّين. فكانوا يتطلّعون إلى اللّعب على الكلمات بالفصاحة والتفاسير الجديدة. من هذا المنطلق، كانت إمكانيّة معرفة اللّه وتغيير الحياة، بسبب مخلّصٍ مصلوب وقائمٍ من بين الأموات، بعيدة كلّ البُعد عن "التماس اليونانيّين للحكمة".

٢٣ أَمَّا نَحْنُ فَنُنَادِي بِمَسِيحٍ مَصْلُوب، هُوَ عِثَارٌ لِلْيَهُودِ وَحَمَاقَةٌ لِلأُمَمِ.

قدّم بولس إلى أهل قورنتس، ومن دون تردُّد، مستخدمًا التوكيد "نحن"، بديلًا لمطلب اليهود بالآيات وافتتان اليونانيّين بالحكمة: "أمّا نحن فننادي بمسيحٍ مصلوب". لم يقدّم بولس أيّة آيةٍ لتلبية توقّعات اليهود بخصوص المسيح؛ ولم يقدّم أيّة حكمةٍ لإثارة اهتمام اليونانيّين بالحكمة. فالحقيقة تكمن في اتّجاهٍ لم يتوقّعه إنسانٌ: تكمن المفارقة في الصليب، الّذي يُعبّر عن حكمة اللّه: "لأنّه وإن كان قد صُلب من ضعفٍ، لكنّه حيٌّ بقوّة اللّه" (٢ قور ١٣: ٤).

إنّ القوّة الّتي في الصليب، تفتح الطريق للأكثر تواضعًا لأن يعرف اللّه، وليتغلّب على الشرّ. وهذه هي الحكمة الفائقة على كلّ شيءٍ يمكن أن يقدّمه الفلاسفة. بمعنىً آخر، أصبح الصليب محورًا لفهم بولس بأنّ موت المسيح، صوّر للانسانيّة عدم قدرتها في تجاوز اللّه.

لقد أبطلت قوّة اللّه التوقّعات اليهوديّة، وجعلت حكمته رسالة الصليب حماقةً لليونانيّين. فأصبح التناقض الظاهريّ للقوّة في الضعف، والحكمة في حماقة، النجمة المرشدة لبولس. وهذا ما سيدفعه ليكتب في ما بعد: "إن كان يجب الافتخار، فسأفتخر بضعفي" (٢ قور ١١: ٣٠)..."لأنّي حينما أكون ضعيفًا فحينئذٍ أنا قويّ" (٢ قور ١٢: ١٠).

٢٤ وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ أَنْفُسِهِم، مِنَ اليَهُودِ واليُونَانِيِّين، فَهُوَ مَسِيحٌ، قُوَّةُ اللّهِ وَحِكْمَةُ اللّه؛

استمرَّ بولس في المقارنة بين طريقة الاقتراب إلى اللّه، الّتي تحدّدها توقّعات الانسان (الآيات والتنظير الفلسفيّ) من جهة، وبين النهج الّذي انتظر اللّه ليقوم بمبادرةٍ ليخلّص النّاس. لكنّ تعليم بولس لا يقوم على تكهُّناتٍ مجرّدة عن اللّه؛ إنّما هي بيانٌ بما قد فعله اللّه بالفعل. لذا، لم يقبل جميع النّاس هذا المنطق، إنّما "المدعوّين"، الّذين اعتبروا الصّليب "قوّة اللّه وحكمة اللّه". وإن كان اللّه قد دعا الانسان بمبادرةٍ منه، فهذا لا يلغي حاجة الانسان إلى الاستجابة لهذه الدعوة.

لم يكن تبشير بولس نتاج مدارس فلسفيّة، بل نتيجة كشف اللّه عن ذاته، وعن محبّته للانسان بالرغم من الخطيئة. فما أراد بولس قوله لأهل قورنتس هو أنّهم عندما يبدأون باتّخاذ رسالة المسيح على محمل الجِدّ، ستصبح الانشقاقات في ما بينهم، وإغراءات السلطة

البشريَّة، والحكمة البشريَّة، هباءً.

**٢٥ فَمَا يَبْدُو أَنَّهُ حَمَاقَةٌ مِنَ اللّٰهِ هُوَ أَحْكَمُ مِنَ النَّاس، ومَا يَبْدُو أَنَّهُ ضُعْفٌ مِنَ اللّٰهِ هُوَ أَقْوَى مِنَ النَّاس.**

كانت لبولس ثقةٌ في حقيقة الإنجيل، بحيث كان على استعدادٍ للاعتراف بمظهر "حماقة الإنجيل" وضعفه. وفقًا للمعايير البشريَّة، ليس الصليب ما يستحقُّ الثناء، بل يُعتبر "حماقة". لكنَّ بولس يقول: "ما يبدو أنَّه حماقة من اللّٰه هو أحكم من النَّاس". إنَّ حكم الناس على الإنجيل بأنَّه "حماقة"، هو بحدّ ذاته دليلٌ على أنَّه أتى من اللّٰه. إذ لا يمكن أن يتوقَّع أحدٌ أنَّ أيَّ إعلانٍ من اللّٰه سيتوافق مع توقُّعات الانسان. والأهمُّ من تقييم العالم لحماقة اللّٰه أو حكمته، هي هذه الحقيقة البسيطة: "ما يبدو أنَّه ضعفٌ من اللّٰه هو أقوى من النَّاس"، لأنَّ النصر النهائيّ هو للّٰه.

## خلاصة روحيّة

في رسالة هذا العيد (١ قور ١: ١٨-٢٥)، يدعونا القدّيس بولس إلى التأمُّل بالصليب وبمعانيه، وإلى إعادة الاندهاش أمام عظمة فداء ربّنا يسوع المسيح. اعتاد البعض النظر إلى الصليب بمنطق "الهالكين"، أي إنَّهم يرون في الصليب رمزًا للعذاب والألم، والقهر، والعبء الثَّقيل، والموت. لكن تختلف النَّظرة لدى "المخلَّصين"، الَّذين ينظرون إلى الصليب بأسلوبٍ معاكسٍ تمامًا: إنَّه رمزٌ لقوَّة اللّٰه، الَّتي ظهرت في غفرانه لصالبيه؛ أعظم من كلّ قوَّة أخرى، لأنَّها تجسّد قوَّة المحبَّة الَّتي تذهب إلى أقصى الحدود، إلى الموت؛ إنَّه رمزٌ للكرامة، إذ لم يعد الصليب، بعد الفداء، علامةً للقهر، بل علامةً للانتصار عن كلّ ما يُبعدنا عن اللّٰه؛ إنَّه "غرسة عدن الحياة"، فكلَّما "يرسم المؤمن الصليب على صدره" (نشيد الدخول في خدمة قدَّاس عيد ارتفاع الصليب)، يتذكَّر بأنَّ هذا الصليب يختصر أهمَّ مفهومٍ في إيماننا المسيحيّ، وهو أنَّ المسيح قام، حقًّا قام!